

قائمة طعام طبقة الخاصة في بغداد في العصر العباسي ودلالاتها

132- 656هـ / 750- 1208م

د/ شيرين أحمد علي العدوي

مدرس التاريخ الإسلامي - كلية الإعلام

جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب

saladawy@msa.edu.eg

قائمة طعام طبقة الخاصة في بغداد في العصر العباسي ودلالاتها

132- 656هـ / 750- 1208م

د/ شيرين أحمد علي العدوي

مدرس التاريخ الإسلامي - كلية الإعلام

جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب

ملخص البحث باللغة العربية:

بلغت قائمة الطعام عند مجتمع الخاصة في العصر العباسي درجة عالية من الجودة، وبلغت حدًا من الكثرة دفع بالخبازين والطباخين إلى اتباع سبل لتوحيد ألوان الأطعمة، التي ضمتها قائمة الطعام، والمبالغة في صنع أنواعها. لكن هذا القول لا ينطبق على قائمة جميع خلفاء بني العباس، فمنهم من توافقت قائمة طعامه مع سياسته الحربية، واتسمت بالبساطة، ومنهم من تميّزت قائمة طعامه بالتنوع والتعدد، والمبالغة في الإنفاق، وقد تأثر الخاصة بالحضارة الفارسية في طريقة إعداد قوائم الطعام، وطريقة إعداد الموائد ووضع الأطعمة والأشربة عليها، وطريقة الجلوس حولها وإقامة الوظائف، والمطابخ وإحضار الحلوى والفواكه قبل الطعام، والمبالغة في تحسين دورهم ولباسهم وموائدهم، والمنافسة فيما بينهم في ذلك. ويلاحظ وجود عوامل مؤثرة في قائمة الطعام، وهي حدوث أزمات الغلاء والمجاعات التي تركت آثارًا واضحة على المجتمع العباسي وخاصة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية:

قائمة الطعام، العصر العباسي، التأثير الفارسي، الترف والرفاهية، الأزمات الاقتصادية، المجاعات.

Abstract in English:

The menu of the elite in the Abbasid era reached a high degree of quality and abundance, which prompted bakers and cooks to find ways to standardize the colors of foods included in the menu and exaggerate in their preparation. However, this statement does not apply to the menus of all Abbasid caliphs.

Some of them had menus that were in line with their military policies and were characterized by simplicity, while others were distinguished by their diverse and varied menus, and lavish spending. The elite were influenced by Persian civilization in the way menus were prepared, the way food and drinks were placed on them, the way they sat around them and held functions, the kitchens, and the preparation of sweets and fruits before meals. They also exaggerated in improving their roles, clothing, and tables, and competed with each other in this regard. It is noteworthy that there were factors influencing the menu, namely the occurrence of crises of high prices and famines, which left a clear impact on Abbasid society, especially in the economic and social aspects.

The Keywords:

Menu, Abbasid era, Persian influence, Luxury and opulence, Economic crises, Famines

مقدمة:

تعد الحياة الاقتصادية والاجتماعية في أي مجتمع إنساني من أكثر المظاهر تأثراً بالوضع السياسي السائد، كما أن الحياة الاقتصادية تتأثر تأثراً شديداً بما يحدث في في الدائرة الاجتماعية، وتتغير الطبقات الاجتماعية تبعاً للتغيرات السياسية، وانعكاساتها الناتجة عن تطور طبيعة المنهج المتبع في نظام الحكم، بالإضافة إلى ذلك نجد أن هناك ارتباطاً طردياً بين الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والاجتماعي، يحدث هذا في جميع المجتمعات الإنسانية دون استثناء.

وفي هذا الإطار كان للاستقرار السياسي الذي عرفته بغداد في أغلب فترات العصر العباسي (132-656هـ / 750-1208م) انعكاس واضح على النواحي الحضارية التي وجدت كل اهتمام وعناية من الخلفاء؛ حيث أولوا اهتماماً خاصاً بالتنظيم الإداري والمالي، وأوجدوا وظائف ودواوين متعددة، وشهد الجانب الاقتصادي نمواً وازدهاراً كبيراً؛ نتيجة للاستقرار السياسي والتنظيم الإداري والمالي. وكان التطور الثقافي والعمراني من أهم ثمار هذا الاستقرار، فقد أدى ذلك كله إلى مظاهر الرفاهية التي عاشتها دولة الخلافة العباسية. وشهدت بغداد تحت حكمهم بناء القصور والدور والحدائق، وتوفير وسائل الترفيه والرفاهية كافة، لهم ولنسائهم وأبنائهم. ولا شك في أن بعض مظاهر ذلك انعكست على أهل بلاد الرافدين. وكان من تلك المظاهر قوائم الطعام وما تحتويه مما لذ وطاب من الأطعمة والأشربة، وبطبيعة الحال فإن ذلك شكل معياراً دقيقاً لثروة الخلافة العباسية العامة وسعتها، ومراًة للازدهار الاقتصادي الذي ظهر في عمران بغداد منذ تأسيسها سنة 145هـ/762م على يد أبي جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م).

وإن كان الموضوع يخص بغداد التي تأسست عام 145هـ/762م، فإن مرجع اتخاذ سنة 132هـ/750م نقطة البداية لفترة الدراسة؛ هو أن هذه السنة المذكورة بداية تاريخ الدولة العباسية (وليست بداية الدعوة) هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هي محاولة رصد التمايز بين قائمة طعام الخلفاء المؤسسين من جهة، وقائمة طعام الخلفاء الذين حكموا في عهود القوة والازدهار من جهة أخرى.

هذا يجعلنا نطرح العديد من التساؤلات حول: ماهية طبقة الخاصة في بغداد زمن الخلافة العباسية؟ وصورة قائمة طعام مجتمع الخاصة، وأبعادها؟ ومعرفة العوامل المؤثرة في قائمة الطعام في بغداد زمن العباسيين؟ وذلك؛

للوصول إلى هدف الدراسة وهو: إلقاء أضواء كاشفة على حالة بغداد الاقتصادية الداخلية زمن بني العباس متخذين من موضوع قائمة الطعام أساساً لذلك.

• ماهية طبقة الخاصة في بغداد زمن العباسيين:

كان الناس في العصر العباسي ينقسمون إلى طبقتين: الخاصة والعامة، تحت كلٍّ منهما فئات وأتباع وفروع. ويهمننا هنا التعرُّض لطبقات الخاصة التي شملت خمس طبقات: الخليفة، وأهله، ورجال دولته، وأرباب البيوتات، وتوابع الخاصة. فالخليفة صاحب السلطتين الدينية والسياسية فحريٌّ بمن كان هذا منصبه أن يعظم الناس شأنه، ويتقربوا إليه بالطاعة وبذل الخدمة والتزلف بالمدح والإطراء⁽¹⁾.

وأهل الخليفة هم بنو هاشم، وكانوا أرفع الناس قدرًا بعده، ويسمونهم الأشراف وأبناء الملوك، فإذا دخلوا على الخليفة جلسوا على الكرسي، وسائر الناس دونهم على الوسائد أو البسط إلا الخليفة فإنه كان يجلس على السرير، وكانوا يرتزقون في الغالب برواتب يتقضاونها من بيت المال، فضلاً عما ينالونه من النعم والهدايا بحسب ما يترأى للخليفة في أمرهم.

وقد كان الهاشميون في الغالب من أهل السعة والرخاء، يتمتعون بشرف الملك ولا يحملون أوزاره وأعباء تبعته، فانغمس أكثرهم في الترف وانهمكوا في

1- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي محمد بن الجوزي، أبو الفرج (ت 597 هـ / 1200 م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر، بيروت - دار الكتب العلمية 1992م ج 10، ص 251؛ الصابئ: الهلال بن الحسين الصابئ، أبو الحسن (ت 488 هـ / 1095 م): الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين 1904م، ص 16؛ صلاح عبد الهادي مصطفى الحيدري: المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1970/1971م، ص 148.

الشراب والغناء وابتنوا القصور الشَّمَاء والحدائق الغناء، واستكثروا من الجواري وجمعوا إليهم المغنين والقيان وقربوا الشعراء والأدباء. أما رجال الدولة فكان منهم الوزراء والكتاب والقواد، ومن جرى مجراهم من أرباب المناصب العالية، وكان أكثرهم في الدولة العباسية من الموالي وخاصة الفرس، كالبرامكة وآل سهل وآل وهب وآل الفرات وآل الخصيب وآل طاهر وغيرهم، وكانوا يختلفون في درجات النفوذ والسطوة باختلاف الخلفاء وتفاوت أدوار التمدن، ولكن الوزارة كانت في المجمل من أوسع أبواب الكسب والتربح. أما أهل البيوتات فمنهم الأشراف من غير الهاشميين، ويرجع شرفهم إلى اتصال حبل قرباهم بالنسب النبوي أو بقریش، وكان الخلفاء يراعون جانبهم ويفرضون لهم العطايا والرواتب ويقدمونهم في مجالسهم. ولحق بهؤلاء أطباء القصور، والشعراء، والمغنون، والعلماء من القضاة وغيرهم، ومياسرة التجار، وكذلك الجند⁽¹⁾.

وقد حدثت لهذه الطبقة تطورات اجتماعية كبيرة بعد أن تغلغل النفوذ الفارسي داخل البلاد نتج عنه بذخ وتأنق في المطاعم والمشارب، وشيوع أصناف ذات أصول فارسية. كما تعددت أصنافها التي لم تكن تُعرف من قبل في المجتمع العباسي، وتتوعدت تنوعاً ظاهراً وواضحاً، واختلفت من بلد إلى بلد، ومن طائفة اجتماعية إلى طائفة اجتماعية أخرى، وغدت في تنوعها صورة واضحة لامتزاج العناصر المتباينة في المجتمع والطبقات المختلفة. وقد ورد أن عامة أهل بغداد كانوا يتفننون في الطعام ويسرفون في اجتلاب ألوانه في غير

1- أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت 356 هـ / 966م): الأغاني - تحقيق إبراهيم الإبياري - القاهرة - دار الشعب (ج 1 - ج 6 - 1969م)، ج 4، ص 1321، 1322؛ السيد عبد العزيز سالم: دراسات في العصر العباسي الأول، ج 3، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة 1987م، ص 327.

مواسمه⁽¹⁾، واختلف من صيد وفواكه، وخضراوات حتى إنهم كانوا يزنون هذه الأطعمة أحياناً بما يعادلها من فضة، وكانوا يجلبون ألوان الطعام مثل: السمك والجبن من البلاد الأخرى؛ كفارس وعمان والهند مقلدين في ذلك مجتمع الخاصة⁽²⁾. وقد دونت بعض المصادر الأدبية، وخاصة كتب الجاحظ طائفة من أسماء هذه الأطعمة⁽³⁾.

• قائمة طعام الخاصة في المجتمع العباسي ودلالاتها: قوائم طعام الخليفة وأهله:

ولئن ذكرنا قوائم طعام طبقة الخاصة في بغداد فعلياً البدء بقوائم طعام الخلفاء؛ حيث بلغت قائمة الطعام عند مجتمع الخاصة في العصر العباسي درجة عالية من التأنق، وقد بلغت الحد من الكثرة، مما دفع بالخبازين والطباخين اتباع سبل لتوحيد ألوان الأطعمة التي ضمتها قائمة الطعام والتأنق في صنع أجناسها وأطيابها ولطائفها⁽⁴⁾. لكن هذا القول لا ينطبق على قائمة جميع خلفاء بني العباس، فمنهم من توافقت قائمة طعامه مع سياسته الحربية، ومما يذكر في هذا الصدد أبو العباس أول الخلفاء العباسيين (132-136هـ / 749-753م) فكانت قائمة طعامه من أبسط ما يكون، ومن أراد أن يسأله حاجة؛ آخرها حتى

1- أحمد تيمور: تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة، مج3، ج11، دمشق، المجمع العلمي العربي 1921م، ص330.

2- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - ط 14 - دار الجيل - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية 1996 م، ج2، ص 346 ؛ حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول - ط 1 - دار الفكر العربي 1973 م، ص 226.

3- انظر: الجاحظ: عمرو بن بحر الجاحظ، أبو عثمان (ت 255 هـ / 868م) البخلاء - تحقيق طه الحاجر - ط 5 - القاهرة - دار المعارف 1976 م، ص 213- 244 ؛ طيبة صالح الشدر: ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، القاهرة، دار قباء 1998م، ص 81.

4 الثعالبي النيسابوري: عبد الملك بن إسماعيل، أبو منصور (ت 429 هـ / 1037 م): آداب الملوك، تقديم عبد الحميد حميدان، عالم الكتب، القاهرة، 2007م، ص 198

يحضر طعامه ثم يسأله⁽¹⁾، وكان من صفاته زيادة أعطيات الناس، والأكل معهم⁽²⁾ ويوثر عنه أنه كان بعيداً عن الانغماس في الملذات⁽³⁾، كما كان من أسخى الناس⁽⁴⁾.

ولم يكن أبو جعفر المنصور يتعالى بثوبٍ يلبسه، ولا قائمة طعام تمد إليه. وكانت قائمة طعامه كل يوم عبارة عن ثريدة ملبقة⁽⁵⁾ هي وخمسة ألوان وشيء بسيط من الشواء، وبعض من العصير، وكان يوثر العصيدة⁽⁶⁾. ويستطيب العجة المعمولة بالمش والسكر⁽⁷⁾. وقد ذكر الآبي: أن المنصور منذ أن صارت

1- المسعودي، على بن الحسين بن علي المسعودي، أبو الحسن (ت 346 هـ / 957 م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط 2، بيروت، دار الكتاب العالمي، الدار الأفريقية 1990 م، مج2، ص247.

2- ابن دحية: كتاب النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس الغزاوي، بغداد، مطبعة المعارف 1946م، ص20.

3- سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، نقله إلى العربية رياض رأفت باسم، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1938 م، ص181

4- القرماني، أحمد بن يوسف القرماني (ت 1019 هـ / 1610م): أخبار الدول وآثار الأول - دراسة وتحقيق فهمي أسعد - أحمد صطيظ - ط 1 - بيروت - عالم الكتب 1992م، ج2، ص72.

5- هي نوع من الثريد الذي يحضر بطريقة خاصة، حيث يخبز الخبز في التتور، ثم يفتت ويسقى بمرق اللحم أو الدجاج، ويضاف إليه اللبن أو الزبادي، ويقال إنها كانت من الأطعمة المفضلة للخلفاء العباسيين. البغدادي، محمد بن الحسن بن كريم البغدادي، تحقيق فخر البارودي، دار الكتاب الجديد بيروت ط1، 1964، ص.

6- التوحيدى، على بن محمد بن العباس، أبو حيان (ت 414 هـ / 1023م): البصائر والذخائر - تحقيق أحمد أمين - السيد أحمد - ط 1 - القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر 1953م، ص253

7- القرماني: المصدر السابق، ج2، ص72

إليه الخلافة كان لا يأكل إلا الخشن من الطعام⁽¹⁾؛ ولعل ذلك أكده الوجد الذي شعر به عند وفاته حيث إنه كان لا يستمرئ طعامه ويشكو ذلك للأطباء، وظل على ذلك حتى مات مبطوناً⁽²⁾.

أما الجيل التالي للخلفاء بعد جيل الخلفاء المؤسسين، فقد كان كثير منهم على عكس الأوائل من الاعتدال والتقشف أحياناً، وتنوعت قوائم الطعام على عهدهم. فعلى سبيل المثال: كان المهدي (158-169هـ / 774-785م) مترفاً في مأكله وملبسه⁽³⁾ وكان يستطيب في قائمة طعامه المخ المعقود بالسكر والعسل⁽⁴⁾، ومن الطيور الحمام⁽⁵⁾، وقد استحدثت على عهده أنواع من الأطعمة الفارسية⁽⁶⁾.

وعن قائمة الطعام الخاصة بالخليفة هارون الرشيد (171-193هـ / 786-809م)، فقد كان الرشيد متأنفاً في طعامه متفنناً فيه من غير شره، فكان يبدأ بالمرق من السكباغ وغيره تنشيطاً لجسمه، ثم يأكل الفاتر من الطعام من البقول

1- الآبي: منصور بن الحسين، أبو سعيد (ت 421هـ / 1030م): نثر الدر - ج 1 - تحقيق محمد قرنة - مراجعة محمد البيجاوي د. ت: ج 1، ص 325، القيرواني: إبراهيم بن علي بن الحصري القيرواني، أبو إسحاق (ت 453 هـ / 1061م): زهر الآداب وثمر الألباب - تحقيق زكي مبارك - حققه وزاد في تصحيحه وضبطه وشرحه محمد محيي الدين عبد الحميد - ط 4 - بيروت - دار الجيل 1972م، ج 1، ص 125.

2- الطبري: محمد بن جرير الطبري (310 هـ / 922م): تاريخ الرسل والملوك أو تاريخ الطبري - بيروت - دار الكتب العلمية 1988م، ج 4، ص 516؛ عصام عبد الرؤف الفقي: الدولة العباسية، مكتبة نهضة الشرق 1987م، ص 163.

3- أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط 10، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية د. ت ج 1، ص 109.

4- المسعودي: مروج الذهب، مج 2، ص 295.

5- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ / 1505م): تاريخ الخلفاء - تحقيق جمال محمد مصطفى - ط 1 - القاهرة - دار فجر للتراث 1999م، ص 220.

6- السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ج 3، ص 328.

وأشباهاها، ثم الدجاج وأنواعاً من الطيور، ثم الشواء، ثم أنواعاً من السمك، ثم ما يطبخ بالتوابل من اللحم والبقول وغيرهما، ثم يتخلل طعامه بتناول اليسير من التوابل تشهية له، فإذا اكتفى من هذه الألوان تناول الحلوى ثم الفاكهة⁽¹⁾. وكل هذه الأطعمة كانت توضع في صحاف من الصين لم يُرَ أظرف منها ولا أغلى ثمنًا وقيمة، فإذا اكتفى من الطعام بمشتملاته التي ذكرناها، جاء الغلمان بماء الورد والمسك في قماقم الذهب مع شيء من الريحان فيغسل يده ويتبخر، فإذا انتهى دخل للقليلة، وبعدها يجلس للندماء وكان هذا ديدنه منذ أن ولي الخلافة وكان مجلسه الذي يجلس فيه للطعام كامل الزينة مفروشاً بالرخام الأخضر، وقد ألبس حيطانه بالوشي المتوج بالذهب، وكان ينفق على قائمة طعامه في كل يوم عشرة آلاف درهم وربما اتخذ له الطباخون ثلاثين لونا من الأطعمة⁽²⁾، ولعل هذه الكثيرة من الأطعمة وهذا الإنفاق الضخم على هذه الموائد إنما يرجع إلى أن موائده لم تخلُ قط من العلماء والأدباء والشعراء، وكان يقوم بواجب الاحترام لهم⁽³⁾، فقد كان هارون لا يقبل غير الجيد من الطعام، على الرغم من أنه لم يكن أكلًا ولا نهمًا في طعامه⁽⁴⁾. ودلالة ما ذكر أنه يعطي انطباعاً عن رواج الإنتاج الذي هو قاعدة الحياة الاقتصادية، وإن

1- المسعودي: مروج الذهب، مج2، ص328، 346.

2- جميل نخلة المدور: حضارة الإسلام في دار السلام، بولاق، القاهرة، المطبعة الأميرية 1937م، ص87.

3- أبو طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارث المكي (ت 386 هـ / 996م): قوت القلوب في معاملة المحبوب - ط 1 - الأزهر - المكتبة الحسينية المصرية 1932م، ج4، ص68؛ الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر (ت 463 هـ / 1071 م): تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة (463 هـ / 1070 م) القاهرة، مكتبة الخانجي د. ت، ج14، ص8؛ أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج1، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1927م، ص220.

4- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص231.

كانت النهضة وذلك الرواج لم يأتِ عفواً، بل تحالفت عوامل متباينة جعلتها من خصائص خلافة هارون الرشيد وأعظم مميزاته وأكبر مفاخره.

أما عن صورة قائمة الطعام في خلافة أبناء الرشيد فكان فقد اشتهر الأمين (193-197هـ / 808-813م) باحتواء قائمة طعامه على كثرة أصنافها وتنوعها⁽¹⁾، وفي عهد المأمون (198-218هـ / 813-833م) كثرت في عهده أفانين الطهارة وتعددت الألوان التي كانت تهيأ من الطعام وقد كان عدد هذه الألوان يبلغ في بعض الأحيان مبلغاً ما عُرِف ولا سمع بمثله، فقد ذكر أحد جلساء المأمون أنه حضر قائمة طعام للمأمون يقول: "... فظننت أنه وضع على المائدة أكثر من ثلثمائة لون وكلما وضع لون نظر إليه المأمون وقال: هذا يصلح لكذا، وهذا نافع لكذا..."⁽²⁾. وعلى الرغم من أن عدد هذه الألوان قد يكون فيه شيء من المبالغة ويعتريها بعض الشك فلو أن مؤرخاً آخر قد ذكر هذا غير ابن طيفور الذي لم يؤرخ للمأمون أحد مثله⁽³⁾ لشككنا في الأمر، ولعل كثرة هذه الألوان التي شملتها قائمة الطعام؛ تفسر النفقة العظيمة التي كان ينفقها المأمون على مطابخه والتي وصلت مبلغاً عظيماً من مال نفقته البالغ ستة آلاف دينار يومياً⁽⁴⁾.

1- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي - بيروت - دار مكتبة الحياة د. ت، مج2، ج5، ص638.

2- ابن طيفور: أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، أبو الفضل (ت 280 هـ / 893 م): كتاب بغداد - بيروت - دار الجنان د. ت، ص35، 36.

3- صلاح الدين المنجد: بين الخلفاء والخلفاء في العصر العباسي - ط 3 - بيروت - لبنان - دار الكتب الجديد 1980 م، ص78.

4- مصطفى عبد الهادي الحيدري: المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير - بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1970/ 1971م، ص79.

وقد كان المأمون نفسه وبعضاً من خلفاء بنى العباس لا يكتفون بأن يكون لديهم صاحب طعام يدبر أمر إطعامهم، أو طهارة يعدون لهم ما يشتهون؛ بل كانوا هم أنفسهم ذوي معرفة بالطبخ وذوي مهارة فيه، وعلم بتركيب الأطعمة وأثر بعضها في بعض. فقد ذكرت المصادر أن المأمون جلس في بعض الأيام وأمر بأن تحضر اللحوم والحيوانات وما تحتاج إليه من آلة الطبخ وقال لندمائه: لي طبخ كل واحد منكم قدرًا. وطبخ هو أيضًا قدرًا، وطبخ أخوه المعتصم قدرًا ففاحت لها روائح غلبت على روائح قدورهم طيبًا وعطرية فتعجبوا من ذلك⁽¹⁾. وقد ذكر المسعودي أيضًا: أن المأمون قال لبعض جلسائه أن يطبخ كل واحد منهم قدرًا، وطبخ هو الآخر قدرًا وأمر برجل عامي قد أتى به بعض خواصه وقال له المأمون: قد طبخ كل واحد منا قدرًا هو ذا يقدم إليك من كل واحد منهم؛ فذق ذلك وأخبر عن فضائلها وما ترى من طيبها. فقال: هاتوا، فقدمت في طبق كبير موضوعة عليه لا تميز بينها ولكل واحدٍ ممن طبخها علامة، فبدأ فذاق قدرًا طبخها المأمون فقال: زده، وأكل منها ثلاث لقمات. وقال: أما هذه فكأنها مسكة وطباخها حكيم، نظيف، ظريف، مليح، ثم ذاق قدر المعتصم. فقال: هذه والله فكأنما الأولى من يد واحدة خرجتا وبحكمة متساوية طبختا، ثم ذاق قدر محمد بن عمرو الرومي فقال: وهذه قدر طباخ ابن طباخ أجاد ما أحكمه⁽²⁾.

ولم تختلف قائمة الطعام لطبقة الخاصة في عصر المعتصم (218 - 227 هـ/ 833 - 841 م) عما كانت عليه في عهود أبيه هارون، وأخويه "الأمين والمأمون" فكان يقيم المنافسة في فن الطبخ مثل أخيه المأمون، ويكافئ طبائخه

1- الشابشتي: أبو حسن علي بن محمد (ت 388 هـ/ 988م): الديارات، تحقيق كوركيس عواد

- ط 3 - بيروت - دار الرائد العربي 1986م، ص 185.

2- المسعودي: مروج الذهب، مج2، ص407.

على مهارتهم، فقد أقام مباراة في الطبخ بين ندمائه وأحضر من يحكم بجودته، فكان بعضه قد كثر فلفله وآخر كثر خله وقل زيتته، وثالث اعتدلت توابله، ورابع قل ماؤه⁽¹⁾، وكذلك المتوكل (232 - 247 هـ / 846 - 861 م) قد ملأ قدرًا من الدراهم الفضية لمن جود طبخ قدر أعجب به⁽²⁾. تدل هذه الروايات على كم الترف الذي عاشه مجتمع الخاصة في العصر العباسي.

وحوت قائمة الطعام في عهد المعتصم بالله أول من ثرّد الطعام وكثره حتى بلغ ألف دينار في اليوم⁽³⁾، وكان من عاداته في قائمة طعامه إذا أكل السمك اتخذ له صباغًا من الخل، والكراويا والكمون وأشياء أخرى، ليدفع بذلك أذى السمك وأضراره بالعصب، وكان إذا أكل الرؤوس اتخذ لها أصباغًا تدفع أذاها وتلطّفها، وكان في أكثر أموره يلطف غذاءه ويكثر من مشورة أطبائه⁽⁴⁾.

أما الواثق بالله (227- 232 هـ / 841- 846 م) فتوافقت قائمة طعامه مع كونه نهمًا في طعامه كثير الأكل والشراب، شديد الحب للطعام⁽⁵⁾.

ومع التطور الحضاري الذي صاحب الاستقرار السياسي، تطورت قائمة الطعام في العصر العباسي الثاني حتى إن بعض الخلفاء كانوا يعقدون بعض المجالس

1- المسعودي: مروج الذهب، مج2، ص480 ؛ التنوخي المحسن بن علي التنوخي، أبو علي (ت

384هـ/ 994م) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة - تحقيق عبود الشالجي - ط 2- بيروت

- دار صادر 1995م، ج7، ص 243، 244.

2- المسعودي: المصدر السابق، مج2، ص 428.

3- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 268.

4- المسعودي: المصدر السابق، مج2، ص 435.

5- المسعودي: المصدر السابق، مج2، ص450 ؛ ابن عبد ربه: أحمد بن محمد عبد ربه

الأندلسي، أبو عمر (ت 349 هـ / 940 م)، العقد الفريد، تحقيق إبراهيم الإبياري، وغيره،

القاهرة، دار الكتاب العربي 1983م ج6، ص300 ؛ السيوطي: مصدر سابق، ص272؛

القرماني: أخبار الأول، ج2، ص 107 ؛ عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية

المتأخرة، بغداد، مطبعة السريان 1945 م، ص34.

ليقوموا فيها بوصف الأطعمة والأشربة وأنواع الحلواء، كالمجلس الذي كان يعقده المتوكل على الله (232 - 247 هـ/ 846 - 861 م) فقد كانوا يتذكرون فيه القطائف، والأشعار التي قيلت فيها، وتارة يذكرون الهريسة وما قيل فيها⁽¹⁾. وهو ما يدل على المكانة التي نالتها قائمة طعام الخاصة في العصر العباسي.

غير أنه يجب الإقرار بأن بعض الخلفاء قد غالوا إلى حدٍّ ما في النفقات على قائمة الطعام والبذخ في مطاعمهم ومشاربهم، وكان هناك بعض الخلفاء الآخرين قد تجنبوا هذه المغالاة كالخليفة المهدي بالله (255 - 256 هـ/ 869 - 892 م) الذي كان بسيطاً في المطعم والمشرب⁽²⁾، فكان لا يأكل غير الخبز النقي ومعه الخل والزيت⁽³⁾، وكان الخلفاء قبله ينفقون على قوائم طعامهم في كل يوم عشرة آلاف درهم؛ فأزال كل ذلك وجعل لقائمه وسائر مؤنته في اليوم نحو مائة درهم؛ حيث كان فيه ميل نحو التقوى والصلاح فأخذ يميل بالناس نحو الزهد في الدنيا والتقليل من ترفها متقشفاً كثير الصوم⁽⁴⁾. وكان يقول: "أستحي من الله عز وجل أن لا يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز من بني أمية"⁽⁵⁾.

نالت قائمة الطعام حيزاً من نفقات البيت العباسي لكنها كانت نفقات معقولة إلى حدٍّ ما في زمن المعتضد بالله (279 - 289 هـ/ 892 - 901 م) فقد بلغت النفقة على مطابخه الخاصة والعامة والمخابز عشرة آلاف دينار في الشهر (أي

1- المسعودي: مروج الذهب، مج2، ص 644-645، 647.

2- المصدر نفسه، مج2، ص563.

3- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج3، ص350.

4- المسعودي: المصدر السابق، مج2، ص 563 ؛ حسين مؤنس: صور من البطولات العربية والأجنبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2000م، ص 139.

5- الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج3، ص350.

يساوي 333 ديناراً يومياً⁽¹⁾. ولعل المكتفي بالله (289 - 295 هـ/ 901 - 907 م) كان مقتصدًا أيضًا في نفقات قائمة طعامه؛ حيث ضمت قائمة طعامه عشرة ألوان تقدم على موائده في كل يوم، وجدي في كل جمعة، وثلاث جامات من الحلواء، وكان يُوكَّل على مائدته بعض خدمه يأمرهم بأن يحصوا ما فضل من الخبز، فما كان منه مكسرًا عزله للثريد، وما كان صحاحًا رده إلى مائدته في الغد، وكذلك كان يفعل بالبوارد والحلواء⁽²⁾.

خالف المقتدر بالله (295 - 320 هـ/ 907 - 932 م) ذلك المنحى في معقولية نفقات قائمة الطعام، لدرجة أنه كان يخصّص لمطابخه العامة والخاصة مبلغًا عظيمًا⁽³⁾، فكان يخصص من بين هذه النفقات ثلاثمائة دينار للمسك وحده كان يُوضع له على الأطعمة رغم أنه كان لا يأكل طعامًا فيه مسك إلا قليلًا⁽⁴⁾. أما الخليفة القاهر بالله (320 - 322 هـ/ 932 - 933 م) فكان يستكثر صنوف قائمة الطعام التي كانت توضع أمامه ومال إلى الجود، والتقشف، وبُعد الهمة، والاقتصاد، والقناعة؛ ما جعل له مهابة زائدة عند الناس، وعرضت عليه صنوف الألوان والحلواء والفواكه التي كانت توضع بين أيدي الخلفاء في يوم واحد فاستكثرها، وكانت تباع بثلاثين دينارًا فأمر أن يقتصر عن ذلك بدينار واحد، ومن الطعام على اثني عشر لونًا وكان يقَدَّم لغيره في كل يوم ثلاثون

1- الصابئ: الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص16.

2- المسعودي: مروج الذهب، مج2، ص639.

3- الصابئ: رسوم دار الخلافة، القسم الثاني، ص22.

4- المصدر نفسه، القسم الثاني، ص27، 28؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، ط 4 - بيروت - دار الكتاب العربي 1967 م،

ج1، ص 35.

لونا من الحلواء فاقصر على ما يكفيه⁽¹⁾. حتى قدرت نفقات المطابخ والمخابز في قصور الخلافة بعشرة آلاف دينار في الشهر كله⁽²⁾.

واصل العباسيون الاهتمام بقوائم الطعام في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، حتى إن الخليفة الراضي بالله (322 - 329 هـ / 933 - 940 م) كان لا يوجد شيء عنده ألد من شيء يهيئه، وطعام يؤكل بين يديه، وما بخل بشيء قط، وما سمع بأكمل جوداً منه⁽³⁾ وكان يقول لأصحابه: "وأمر الأكل إلى لا بدّ من مطالبكم به حتى تأكلوا معي، ويمدح من يزيد أكله بين يديه"⁽⁴⁾. وقد استمر الاهتمام بقوائم الطعام ببغداد في العصر العباسي ولكن بدرجات متفاوتة حتى إن المستكفي بالله خلال فترة خلافته القصيرة (333 - 334 هـ / 944 - 945 م) قد عقد مجلساً لندمائهم؛ تذاكر معهم أنواع الأطعمة والأشربة وما قاله بعض الشعراء في ذلك منظوماً⁽⁵⁾.

قائمة طعام رجال الدولة:

لم تكن طبقة الخاصة تعني الخلفاء، ففترة البحث لم تقتصر على تعدد ألوان الطعام وتنوعه عند الخلفاء فحسب؛ بل تعداه إلى الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة ومن في مستواهم. فقد ذكرت بعض المصادر أن أبا جعفر

1- عريب بن سعد القرطبي: صلة تاريخ الطبري، ج12، القاهرة، المطبعة الحسينية د.ت، ص94.

2- شوقي ضيف: الأدب في العصر العباسي الثاني ط 5 - القاهرة - دار المعارف د. ت، ص54.

3- الصولي: محمد بن يحيى الصولي، أبو بكر (ت 335 هـ / 946 م): أخبار الراضي بالله والمتقي لله، أو تاريخ الدولة العباسية من سنة (322 - 333 هـ / 933 - 934 م) من كتاب الأوراق - عني بنشره: ج. هيورث - القاهرة - مطبعة الصاوي، د. ت، ج2، ص 98.

4- المصدر نفسه، ج2، ص56.

5- انظر: المسعودي: مروج الذهب، مج 2، ص706-717.

المنصور لما زار عمه عيسى بن علي قدم له في قائمة الطعام من الألوان المتعددة من الخبز ولحم الجدي والدجاج والبيض واللحم البارد وألسنة السمك وأكباد الدجاج وصدورها والمخ والكلى والكثير من الحلوى⁽¹⁾.

وقد بلغ الحال ببعض كبار رجال الدولة أنهم تفتنوا في الطهو وتمادوا في الإنفاق على قوائم الطعام؛ حتى إن بعضهم كان يشتري مقادير كبيرة من ألسنة السمك لتقديم ألسنته على موائده لتكون صنفاً من أصناف الطعام الشهية التي كانت تزخر بها موائدهم، ومما يبرهن على اهتمام رجال الدولة بقوائم الطعام بشكل ملحوظ ما رواه المسعودي من أن إبراهيم بن المهدي (ت 224 هـ/ 838 م) قال: "استزرت الرشيد بالرقّة فزارني وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد، فلما وُضعت البوارد رأى فيما قرب منها جام (أي وعاء) قريص مثل قريص السمك فاستصغر القطع، وقال: لم صغر طبّاخك تقطيع السمك؟ فقلت يا أمير المؤمنين، هذه ألسنة السمك. قال: فُيَشَبَّه أن يكون في هذا الجام مائة لسان. فقال مراقب خادمه يا أمير المؤمنين فيها أكثر من مائة وخمسين، فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك فأخبره أنه قام بأكثر من ألف درهم..."⁽²⁾، وقال إبراهيم: "كان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين ديناراً"⁽³⁾. وهذا يدل دلالة قاطعة على ما كان ينعم به الخلفاء والأمراء من الترف المبالغ فيه في تلك العصور المبكرة، إذا عرفنا أن نوعاً واحداً من الطعام تصل قيمته إلى ألف درهم، وأن الوعاء الذي فيه السمك وحده يبلغ قيمته مائتان وسبعون ديناراً. فكيف ستكون قيمة باقي أصناف قائمة الطعام لو حاولنا تخيلها، وثمن ما فيها!

1- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج3، ص327.

2- المسعودي: مروج الذهب، مج2، ص 346 ؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء العباسيين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية 1954م، ص72.

3- المسعودي: المصدر السابق، مج2، ص347.

يؤيد ذلك أن إبراهيم بن المهدي كان على دراية كبيرة بفن الطبخ لدرجة أنه ألف كتاباً في فن الطبخ؛ ومن هنا يمكن تخيل طبيعة قائمة طعامه⁽¹⁾.

وسار على النهج نفسه في اتخاذ الألوان وقوائم الطعام الأمراء العاملون في خدمة الخلفاء العباسيين، وكذلك الوزراء، على سبيل المثال كان أبو مسلم الخراساني، يخبز له في مطبخه ثلاث آلاف قرْف⁽²⁾، ويطبخ مائة شاة سوى البقر والطيور، وكان له ألف طبّاخ، وآلة المطبخ كانت تحمل على ألف ومائتي رأس من الدواب⁽³⁾.

ومثال آخر رآه الأصمعي على قائمة طعام الفضل بن يحيى البرمكي حيث ضمن القائمة من ألوان الطعام ما أدهشه ووصفه فقال: "ثم أتى بخوان لم أدر ما جنسه غير أنني تحيرت في جنسه، وبصفحة مشمسة، فيها ألوان من مخ الطير، فتناولتها، ثم تتابعت الألوان، فأكلت من جميع ما حضر ألا -والذي اصطفى محمداً وآله بالرسالة- ما عرفت منها لوناً واحداً إلا أنني لم أكل في الدنيا شيئاً يدانيها قط لذة وطيباً عند خليفة ولا ملك، ثم رفع الخوان وأتينا بألوان الطيب فغسلنا أيدينا، وكنت كلما استعملت منه لوناً ظننته أطيب ما في الدنيا من عطر فاخر، حتى إذا استعملت غيره زاد عليه طيباً، فلما فرغنا من

1- ابن النديم الوراق: محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن محمد، (ت 438 هـ / 1046 م). كتاب الفهرست - تحقيق رضا تجدد بن علي بن زين العابدين - ط 3 - دار المسيرة 1988 م، ص 129.

2- قرف الخبز: ما قشر منه وبقي في التنور. المعجم الوسيط، ج 2، ص 757.

3- ابن العبري: غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الطبيب المالطي (ت 643 هـ / 1245 م) تاريخ مختصر الدول - بيروت - المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين 1890 م، ص 209.

ذلك، إذا غلام قد أقبل معه جام بلور فيه غالية قد ازرقّت بكثرة العنبر فتناولناه بمعلقة من الذهب حتى نضحناه⁽¹⁾.

وتنافس في إعداد قائمة الطعام، طاهر بن الحسين⁽²⁾، فكانت قوائم طعامه على نوبات فإذا دعا أحدهم دخل من كانت له نوبة في مؤاكلته في ذلك اليوم، وكذلك أصحابه الذين يأكلون معه، مؤاكلتهم معه نوائب، وكان إذا بلغهم أنه قد دعا بالمائدة دخل من كان له نوبة، وانصرف الباقيون لا يحتاج من كانت نوبته إلا أن يشتهي ذو اليمينين أن يدعو رجلاً في غير نوبته فيدعو به⁽³⁾. وقد ذكر ابن الكثير أنه مات من إثر تناوله كامخاً فمات في ليلته⁽⁴⁾.

ووجد من رجال البلاط العباسي من عرف عنه الشره في الطعام، من بينهم الوزير أحمد بن أبي خالد المتوفى سنة (211 هـ / 826 م) حتى ضرب به المثل في ذلك فيقال: "آكل من ابن أبي خالد"، "وأنهم من ابن أبي خالد"⁽⁵⁾.

وفي الصدد نفسه تروي المصادر أن دينار بن عبدالله⁽¹⁾، استضاف حاكم كورة جليلة، فأعد له قائمة طعام ذبح له فيها عشرين فروجاً كسكرية وشواها، وخبز

1- ابن المعتز: عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (ت 296 هـ / 908 م):

ديوان ابن المعتز - شرح وتقديم مشيل نعمان - بيروت - الشركة اللبنانية 1969م، ص214.
2- من أهم القادة في العصر العباسي الأول على عهد المأمون، وكان شهماً مهاباً، داهيةً، جواداً، بليغاً، شاعراً، وقد بلغ أعلى المراتب، توفي سنة (207 هـ / 822 م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص108.

3- ابن طيفور: المصدر السابق، ص64.

4- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير الدمشقي (ت 774 هـ / 1346م): البداية والنهاية، دار الفكر العربي 1351 هـ / 1932م ج10، ص260. والكامخ نوع من المخلل الذي يساعد على الأكل. قاموس المعاني.

5- الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة - دار المعارف د. ت - سلسلة ذخائر العرب العدد 57، ص614.

الماء، ثم قدم إليه الحار، والبارد، والحامض، فما وضع بين يديه شيء إلا أثر فيه فلما انتهى جاءه الطباخ بخمس سمكات على طبق فأكل منه أكل من لم يذق شيئاً. ولما عرف المأمون شرهه وقبوله كل ما يُهدى إليه وإجابته لكل من يدعوه إليه؛ أجرى عليه ألف درهم في كل يوم لمائدته، وكان مع ذلك يشره إلى طعام الناس؛ وعلى الرغم من ذلك كان كثير الأعطيات للناس من خاصة ماله⁽²⁾. وهو ما يقال عن إسحاق بن إبراهيم المصعبي حاكم بغداد على أيام المأمون، والمعتصم، والواثق، فكانت قائمة طعامه تزخر بألوان الأطعمة من الطيور، والحلواء، والحامض، والحار، والبارد، أكثر مما يُحصى⁽³⁾.

كما كتبت المصادر عن قائمة طعام متول ممن تولى الرسائل ويتبين من خلالها مدى ما وصلت إليه هذه الطبقة من رغد العيش، إذ تشير إلى أن أحمد بن يوسف بن صبيح (ت213 هـ / 828 م) متولي ديوان الرسائل للخليفة المأمون⁽⁴⁾، فيذكر ياقوت: أن محمد بن عبد الله بن طاهر هو وجمع من القواد والأمرء، قد قصدوا دار أحمد بن صبيح هذا وقد أخذ أهبطه، وأظهر مروءته فرأى محمد بن عبد الله بن طاهر الغضائر، والفرش، والسنور، والغلمان،

1- دينار بن عبد الله: من كبار القوات على عهد الخليفة المأمون، وقد ولاه الخليفة المعتصم إمرة دمشق في سنة (225 هـ / 839 م). ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10، ص 260.

2- ابن طيفور: المصدر السابق، ص 122- 124 ؛ الأبي: المصدر السابق، ج 2، ص 244؛ الثعالبي: ثمار القلوب، ص 614 ؛ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 732 هـ / 1331 م):

نهاية الأرب في فنون الأدب، ط 1، القاهرة - دار الكتب المصرية (ج 3 ط 1924م)، ص 354؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 259.

3- الجاحظ: التاج في أخبار الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة، المطبعة الأميرية 1914م، ص 13.

4- أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب القفطي، تولى ديوان الرسائل للخليفة المأمون، ووزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد. ابن الجوزي: المنتظم، ج 10، ص 251.

والوصائف مما أدهشه، كما أنه نصب ثلاثمائة قائمة للطعام، وقد حفت بثلاثمائة وصيفة، ونقل إلى كل قائمة طعام ثلاثمائة لون في صحاف الذهب، والفضة، ومثارد الصيني⁽¹⁾. ومثل ذلك كانت قائمة طعام محمد بن نصر⁽²⁾ الذي كان يتأنق في إعداد موائده ويزينها بالورد والرياحين وألوان الطعام والشراب، فكان له مجلس يشرف على بستان له، وبالقرب منه حظائر الغزلان والقمارى وأشباهها، وقد قدم فيه لأحد جلسائه ذات مرة مائدة جزع لم يُر أحسن منها، وفي وسطها جام جزع ملونة قد لوى على جنباتها الذهب الأحمر وهي مملوءة من ماء الورد، وقد جعلها صفّاً على صف كهيئة الصومعة من صدور الدجاج، وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الأصباغ وأنواع الملح ثم أتاه بسنبوسق يفور وبعده جامات اللوزينج ورفعت المائدة، وقاما بعد ذلك إلى موضع الستارة، فقدم بين أيديهما إجانة صيني بيضاء بها البنفسج والخيرى، وأخرى مثلها قد عبئ فيها التفاح الشامي، قُدِّر مقدار ما حضر فيها ألف تفاحة⁽³⁾.

ولعل ما أشارت إليه المصادر في القرن الرابع الهجري بحق الوزير أبي الحسن علي بن الفرات يدل على تمتع قائمة طعام رجال البلاط العباسي بجانب كبير من النفقات، فقد كانت دار الوزير أبو الحسن المذكور - مدينة بذاتها تضم مطابخ تقوم بتوزيع الطعام على موظفي القصر ورجاله والمحتاجين من عامة الناس، حيث كان بها مطبخان، مطبخ الخاصة، ومطبخ العامة الذي يختص بما

1- ياقوت الحموي: شهاب الدين الحموي الرومي، أبو عبد الله (ت626 هـ / 1228 م)، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب والمعروف بمعجم الأدياء أو طبقات الأدياء - تصحيح د. س. مرجليوث - ط 2 - مطبعة هندية بالموسكي (القاهرة) - (ج 1، ج 2 - 1923) ج2، ص162، 163.

2- من كبار رجال الدولة في العصر العباسي الثاني، كان مترفاً حسن الزي، ظاهر المروءة، شغوفاً بالبناء. المسعودي: مروج الذهب، مج 2، ص659.

يقدم إلى الحجاب والمقيمين بالدار، ويغرف منه للرجالة والبوابين وأصاغر الكتاب وغللمان أصحاب الدواوين، وكان يقدم هذا المطبخ في كل يوم تسعين رأساً من الماعز، وثلاثين جدياً، فضلاً عن عدد وفير من الدجاج، وفيها الخبازون الذين يخبزون ليل نهار، وقوم يعملون الحلواء عملاً متواصلاً. كما كان يوجد في داره حجرة للشراب يوجه الناس على اختلاف طبقاتهم إليها غلمانهم ليأخذوا منها ما يريدون من الفواكه، والفقاع، والتلج، وغيرها من أنواع الأشربة⁽¹⁾.

وكان من عادات ابن الفرات أن يدعو إلى قائمة طعامه كل يوم تسعة من الكتاب الذين اختص بهم، وكان يقدم إلى كل واحد منهم طبقاً فيه من أصناف الفاكهة الموجودة في ذلك الوقت من خير شيء، ثم يجعل في الوسط طبقاً كبيراً يشتمل على جميع الأصناف، وكل واحد من هذه الأطباق فيه سكين يقطع بها صاحبها ما يحتاج إلى قطعه من سفرجل، وخوخ، وكُمثرى، ومعه طست زجاج يرمي فيه الثقل فإذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفوا كفايتهم ترفع الأطباق وتقدم الأباريق والطسوت ويغسلون أيديهم، ثم تقدم قائمة طعام بعد ذلك مغطاة، فإذا رفع الغطاء وأخذ القوم في الأكل كان أبو الحسن ابن الفرات يحدثهم ويباسطهم ويؤانسهم فلا يزال على ذلك والألوان توضع وترفع أكثر من ساعتين، ثم ينهضون إلى مجلس جانب المجلس الذي كانوا فيه ويغسلون أيديهم والفراشون قيام يصبون الماء عليهم، والخدم فوق على أيديهم المناديل الرقيقة ورطليات الورد لمسح أيديهم وصبه على وجوههم⁽²⁾.

1- الصابى: تاريخ الوزراء، ص194-195؛ مليحة محمد رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، رسالة دكتوراه بكلية الآداب، جامعة القاهرة، 1968 م، ص91.

2- الصابى: تاريخ الوزراء، ص240، 241؛ محمود غناوي الزهيري: الأدب في ظل بني بويه - الفجالة - مصر - مطبعة الأمانة 1949م، ص191.

هذا التفنن في عرض أصناف قوائم الطعام يشير إلى استقرار سياسي، ورواج وازدهار اقتصادي، ترتب عليه البحث في الكماليات التي تلزم الوجاهة الاجتماعية لعلية القوم العاملين في الدرجات العليا في الجهاز الإداري للدولة العباسية. وكانت قائمة الطعام إحدى سبل هذه الوجاهة.

ومن وزراء ذلك العصر الذين تحدثت المصادر عن قوائم الطعام الخاصة بهم، حامد بن العباس الذي ولي الوزارة سنة (306 هـ / 918م) على عهد الخليفة المقتدر بالله، فكان ينفق على قائمة طعامه كل يوم مائتي دينار، ولا يسمح لأحد بأن يخرج من داره من الجلساء والحاشية والغلمان وغيرهم. إذا حضر الطعام إلا ويأكل، وربما نصب في داره في اليوم الواحد نيفاً وثلاثين مائدة، وقيل: أربعين مائدة، وكان يجري على كل من يُجرى عليه الخبز لحمًا، وكانت جرياته كلها الحواري، وعلى كل مائدة ثلاثون نفسًا، وكل مائدة كالمائدة التي بين يديه حتى البوارد والحلوى، وكان لا يستدعي أحدًا إلى طعامه بل يُقدّم الطعام إلى كل قوم في أماكنهم. وكان من عاداته أيضًا أن يُقدّم على هذه الموائد في كل يوم بعدد من يحضر هذه الموائد جدًّا لكل فرد، يوضع بين يديه لا يشاركه فيه أحد يأكل منه ما يأكل ويرفع الباقي فيفرق على الغلمان⁽¹⁾.

كما أن قائمة طعام الوزير ابن مقلة كان مخصص نفقات الفاخرة لها فقط سنة (317هـ / 929م) قد بلغ خمسمائة دينار في الأسبوع⁽²⁾. وكان أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي ينفق على قائمة طعامه والمغنيات والشراب والتلج ثلاثة آلاف دينار في اليوم⁽³⁾. وعرف عنه أنه كان نهماً شديد الجوع في أول أكله

1- التتوخي: مصدر سابق، ج 1، ص 22، ج 4، ص 163 ج 5، ص 126؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج 13، ص 229.

2- أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط 2 - القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر 1946 م ج 1، ص 103.

3- التتوخي: مصدر سابق، ج 1، ص 304.

إلى وسطه، يلحقه هذا النهم فيظن من لا يعرف طبعه أنه بخيل ويحتاج من يؤاكله إلى التقصير حتى يمضي نصف أكله فإذا أمضى نصف أكله، انبسط وانطلق وجهه وساءه وغمه أن يقصر من يحضر مؤاكلته⁽¹⁾.

ولعل هذه الأمثلة وغيرها مما ورد في صفحات المصادر تدل على ما أشرنا إليه سابقاً بشأن عدم وجود فارق كبير بين قائمة أهل السلطة وخاصتهم وحاشيتهم من الوزراء وغيره. ومن البديهي أن قوائم الطعام التي ذكرناها لا تمثل كل قوائم الطعام التي عرفت طبقة الخاصة في العصر العباسي في ذلك الحين، وإنما هي أمثلة على مدى التنوع في أنماط هذه الولائم، وربما يكون من المفيد أن نقرر أننا لم نقصد إحصاء هذه الولائم، وإنما التعرف على طبيعة قائمة أهل الحكم في بغداد في ذلك الزمان من ناحية، والكشف عما إذا كان هناك فارق شاسع بين قائمة الخليفة ووزرائه أمراء دولته أم لا؟! وقد تبين أن الأمراء شاركوا - وإن شئت قل نافسوا - الخلفاء الأبهة والتفاخر في قوائم الطعام. مما يؤكد العظمة والعز والثراء والترف والرفاهية والتتعم الذي عاش فيه موظفو السلطنة واستحوذهم على الثروات والكماليات أيضاً بكل أصنافها.

قائمة طعام توابع الخاصة:

علاوة على ما تقدم كانت هناك طبقة تمايزت وتميزت في معيشتها ومأكلاها وهم ليسوا من أهل الحكم، لكن كانوا يعملون في حضرة الخلفاء، وهم التابعون لهم، وهؤلاء كانوا يعيشون في نعيم مفرط لا يقل كثيراً عن النعيم الذي كان ينعم فيه الخلفاء، وقد أطنبت المصادر في ذكر مآدبهم، وموائدهم والبذخ المفرط الذي لا يصدق عقل، بالرغم من أنهم كانوا ينتمون بحكم وضعهم إلى الطبقة الوسطى، وهؤلاء هم طبقة الأطباء، والأدباء، والشعراء، والمغنون ومن

1- التتوخي: مصدر سابق، ج2، ص333.

في مستواهم، الذين انخرطوا في خدمة السلطان وجمعوا أموالاً طائلة بسبب هذه الخدمة⁽¹⁾.

قائمة طعام أطباء البلاط: ويأتي على رأس هذه القائمة الأطباء الذين كانوا يعملون بحضرة الخلفاء، والأمراء، وقد جمعوا من جراء ذلك الثروات الطائلة. وانعكس ذلك بالطبع على مآكلهم ومشاربهم وساروا على نفس النهج الذي سلكه خلفاؤهم ووزراؤهم، فالناس على دين ملوكهم، فمن بين هؤلاء بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع فكان يجلس في مجلس، ثم يدعو بطعامه فتأتيه مائدة في غاية الحسن عليها كل شيء طريف، ثم يأتي الطباخ له بفرايح مشوية في نهاية الحمرة، وكان يعلف هذه الفرايح اللوز، ويسقها ماء الرمان لكي يوجد لحمها، وكانت هذه عادته في طعامه في فصل الصيف. أما في فصل الشتاء فكان يدعو بطعامه كعادته فيحضر له الطباخون الفرايح التي في شدة البياض فيشقها، وكان يعلف هذه الفرايح اللوز المقشر ويسقها اللبن الحليب لكي يوجد لحمها أيضاً⁽²⁾.

وجاء في طبقات الأطباء، أن هذا الطبيب أقام دعوة للخليفة المتوكل على الله (232 – 247 هـ / 846 – 861 م) فأمر طبائخه بإعداد قائمة طعام تليق بالخليفة، وكان من بين ما ضمته قائمة الطعام هذه خمسة آلاف وعاء تحتوي على الخبز السميذ، ودست من الرقاق وزن الجميع عشرون رطلاً، وحمل مشوي، وجدي بارد، ودجاجتان مصدرتان، وفرخان، ومصوصان، وثلاثة

1- ابن أبي أصيبعة: أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، موفق الدين (668هـ / 1269م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء - ط1 - المطبعة الوهبية 1882م، ج1، ص136، 137؛ ابن القفطي: أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، جمال الدين (ت 646هـ / 1248م): إخبار العلماء بأخبار الحكماء أو تاريخ الحكماء - بغداد - مكتبة المثنى، د.ت، ص142، 143.

2- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج1، ص140.

ألوان، وجام حلواء، فلما وفاه المتوكل أكل هو وبنو عمه والفتح بن خاقان على مائدة واحدة⁽¹⁾، وأجلس الأمراء والحجاب على سماطين عظيمين لم يُر مثلهما، وفرفت أوعية الطعام على الغلمان، والخدم، والركابية، وغيرهم من الحاشية لكل واحد وعاء، وقد استشرف المتوكل على الطعام فاستعظمه جداً⁽²⁾.

ولعل ذلك يشير إلى القدر الكبير من الثراء الذي بلغه بعض توابع الخاصة، والغنى الفاحش، والمكانة، والحظوة عند الخلفاء العباسيين حتى إن الخليفة المتوكل تواضع وقبل دعوته وذهب إليه في منزله، كما يدل على عظم قوائم طعام أطباء قصور الخلافة. وكذلك شيوع ظاهرة التباهي والتفاخر بين الناس. وهذا إن دل على شيء فيدل على بحبوبة العيش التي عاشتها طبقة الخاصة التي ربما أثرت في طبقة العامة.

ومن هؤلاء الأطباء الذين عرف عنهم طيب قوائم طعامهم الطبيب سلمويه بن بنان⁽³⁾، فكانت عادته في طعامه أن يأتيه خادمه بمائدة صغيرة عليها دُرّاج مشوي، وشيء أخضر في زبدية، وثلاث رقاقت، وخل في سكرجة، ويأكل الجميع، ثم يستدعى مقدار درهمان شرباً ممزوجاً فيشربه ثم يغسل يديه بالماء، ثم يأخذ في تغيير ملابسه ويتبخر. وقد سار على هذا المنوال من الغذاء لأنه

1- الفتح بن خاقان بن أحمد القائد، من وزراء العصر العباسي، وكان في نهاية الفطنة، وحسن الأدب، وهو من أبناء الملوك، واتخذ المتوكل أخاً، وكان يقدمه على جميع أولاده، قتل مع المتوكل ليلة قتل بالسيوف بالمتوكلة في سنة (247 هـ / 861 م). ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج6، ص116، 117.

2- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج1، ص140، 141.

3- سلمويه بن بنان: كان طبيباً فاضلاً، اختاره المعتصم بالله العباسي لنفسه في سنة (218 هـ / 833 م)، وخص به وأكرمه إكراماً شديداً وله معه أخبار وكان رجلاً عاقلاً مدبراً اكتسب من خدمة الخلفاء معرفة بالسياسة. القفطي: المصدر السابق، ص207؛ ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج1، ص164.

كان يعاني السُّل منذ ثلاثين عاماً، ولهذا اقتصر من ألوان الأطعمة الدراج المشوي، ونوع من البقول المسلوقة المطبونة بدهن اللوز، ومقدار الخبز الذي ذكر⁽¹⁾.

أما حنين بن إسحاق (ت 264 هـ / 877 م)⁽²⁾ فكان من عادته في كل يوم بعد فراغه من ركوب الخيل يدخل الحمام فيصب على جسمه الماء، ثم يخرج في قطيفة ويشرب قدح شراب ويأكل كعكة ويتكى حتى ينشف عرقه، وينام ثم يقوم ويتبخر، وتقدم له قائمة الطعام وفيها: فروج مسمن قد طبخ زيرباجاً، ورغيف وزنه مائتا درهم ثم يحسو المرق، ثم يأكل الفروج والخبز وينام؛ فإذا انتبه شرب أربعة أرطال شراب عتيق فإذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي، والسفرجل، وكان ذلك دأبه إلى أن مات⁽³⁾.

هذه صورة بسيطة عن قائمة طعام بعض توابع الخاصة أو بعض الأطباء في العصر العباسي، وعادتهم في تناول أطعمتهم وأشربتهم، وهي توضح بصورة جلية مدى ما كان يتمتع به هؤلاء الأطباء مع ذوق ورقي وتأنق في تناول هذه الأطعمة والأشربة، والأبهة التي كانت عليها قوائم طعامهم.

ومن توابع طبقة الخاصة أيضاً كان هناك المغنون، والشعراء، وقد تحدثت المصادر عن وجاهة قوائم طعامهم، التي كان سببها أن منهم من ثرى ثراءً فاحشاً، ولا شك في أن طبقة المغنين والمغنيات كانت تنعم بكل ألوان الترف في ذلك العصر بسبب ما كان يتدفق عليهم من الهبات، والعطايا من الخلفاء وأصحاب النفوذ، فقد ذُكرَ أن إبراهيم الموصلي (ت 188 هـ / 803 م)

1- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج1، ص169؛ القفطي: المصدر السابق، ص208.

2- حنين بن إسحاق العبادي، كان طبيباً فصيحاً، لساناً بارعاً، شاعراً، انتقل إلى بغداد، واشتغل بصناعة الطب. ابن النديم الوراق: المصدر السابق، ص352؛ ابن أبي أصيبعة: المصدر

السابق، ج1، ص185، 186.

3- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج1، ص189.

المغني قد صار إليه أربعة وعشرون مليون درهم سوى رزقه أو راتبه الجاري وهو عشرة آلاف درهم في كل شهر سوى غلات ضياعه⁽¹⁾، وكانت وظيفته لقائمة طعامه، وطيبه وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرى على كسوته أي أنه كان ينفق كل يوم على طعامه وطيبه ألف درهم يوميًا، فكان له في كل يوم ثلاث شياه واحدة مقطوعة في القدر، والأخرى مسلوقة ومعلقة، وأخرى حية، فإذا أتاه قوم طعموا ما في القدر، فإذا فرغت قطعت الشاة ونصبت في القدر، وذبحت الحية فعلقت، وأُتي بأخرى فجعلت وهي حية في المطبخ⁽²⁾.

ونفس الأمر عاشه بعض الشعراء، من توابع الخاصة أيضًا. ونأخذ نموذجًا واحدًا على ذلك هي قائمة طعام الشاعر أبو العتاهية وقد أعدها لمخارق⁽³⁾ وقد قدم أبو العتاهية لمخارق مائدة عليها خبز السميد، وبقل، وملح، وجدي مشوي، فأكلا منه، ثم دعا بعد ذلك بالسّمك المشوي فأصابا منه كفايتهما، ثم دعا بالحلواء بعد ذلك فأكلا منه، ثم غسلا أيديهما بعد ذلك، ثم جاءت الفاكهة، والريحان والألوان من الأنبذة فأخذا في الشراب ومخارق يغني له حتى صارت العتمة⁽⁴⁾. فهذه قائمة أعدت من قبل شاعر لصديقه المغني! وفيها دلالات لا تخفى بطبيعة الحال عن الترف الذي وصلت إليه هذه الطبقة.

1- أبو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق، ج5، ص1807.

2- أبو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق، ج5، ص1808.

3- مخارق بن يحيى بن تاووس الجزار مولى الرشيد، إمام عصره في فن الغناء حيث كان من أطيب الناس صوتًا اشتراه إبراهيم الموصلي، وأهداه للفضل بن يحيى، فأخذه الرشيد وأعتقه وكان يعجب به جدًا، ثم اتصل بعد ذلك بالمأمون، توفي في سر من رأى في سنة (231 هـ/

845 م) وأخباره كثيرة جدًا. أبو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق، ج 20، ص 7174.

4- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج4، ص1321، 1322.

وينتمي إلى توابع الخاصة أيضاً مياسير التجار الذين كانوا يعيشون في الترف والنعيم، وأصبح التاجر الغني هو ممثل الحضارة الإسلامية التي صارت من الناحية المادية كثيرة المطالب وخاصة في العصر العباسي الأول⁽¹⁾. حتى إن التجار الصغار منهم كانوا ينعمون في مسكنهم بكل ضروريات الحياة⁽²⁾. وكان أقرب هؤلاء التجار إلى الترف والنعيم في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) هم البزازون: وهم تجار الحرير، والعطّارون⁽³⁾. فقد زار إبراهيم بن المهدي رجلاً من هؤلاء البزازين وعندما زاره في منزله قدم له قائمة طعام راقية، فنقل المسعودي ذلك على لسان إبراهيم فيقول: "فأجلسني في أجل موضع، فجاء يا أمير المؤمنين بالمائدة وعليها: خبز نظيف، وأتينا بألوان من الأطعمة فكان طعامها أطيب من رائحتها، ثم رفع الطعام فغسلنا أيدينا، ثم صرنا إلى مجالس المنادمة فإذا هو أنبل مجلس وأجل فرش"⁽⁴⁾. فإذا كان راوي الكلام عن طيب قائمة طعام أحد التجار، هو إبراهيم بن المهدي ابن بيت الخلافة وقد أعجبه ترتيبها بهذا القدر الذي وصل إلى حد الدهشة؛ فذلك يؤيد الرفاهية التي عاشها هؤلاء التجار وانعكست على مأكلمهم ومشربهم.

قائمة طعام الجنود

بطبيعة الحال كان الجنود يحظون باهتمام الخلفاء والوزراء؛ لأنهم كانوا عماد الدولة منذ قيامها، فقد قام أبو جعفر المنصور (136-158هـ/ 753 - 774 م) ببناء مطعم خاص لحرسه وضباطه في ميدان بغداد الذي يوجد به

1- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص220.

2- مليحة محمد رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق، ص60.

3- المقدسي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي (387 هـ/ 997 م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - ط 2 - بيروت - دار صادر 1909 م، ص101.

4- المسعودي، مروج الذهب، مج 2، ص401.

دواوين الحكومة، وكان هذا الميدان محاطاً بسور وله صلة بالأحياء الأخرى⁽¹⁾. وأما بالنسبة إلى قائمة طعام هؤلاء الجند فالمعلومات عنها شحيحة للغاية وإن كان من الممكن أن نستخلص من بعض الرواتب التي كانت تخصص لهم ما كانوا يأكلون. فلم يكن العطاء في العصر العباسي الأول يدفع للجند شهرياً وإن كان في كثير من الأحيان يدفع بضعة أشهر قد تكون ثلاثة أو أربعة أو ستة أو اثني عشر شهراً، حتى أنهم كانوا يأخذون باقي مالهم حنطة أو شعيراً⁽²⁾، وقد ذكر الطبري في حوادث (202 هـ / 817 م) أن أهل بغداد قد بايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة وسموه "المبارك" وأنه أعطى الجند لكي يضمن ولاءهم مائتي درهم لكل رجل، وكتب لبعضهم إلى السواد بقيمة مالهم حنطة أو شعيراً⁽³⁾.

وقد أوقف العباسيون توزيع المواد العينية وخاصة الحنطة على الجند؛ فرفع مقدار العطاء للجندي كان يقابله حرمانه من المواد العينية، ومع هذا فإن الزيادة جعلت دخل الجندي أكبر مما كان عليه في العصر الأموي فأصبح مرفهاً نسبياً، وكان العطاء يدفع بالدرهم التي كان مصدرها الجباية وخاصة الخراج، ولا بد أن إيقاف المواد العينية زاد من نشاط السوق المحلي والعالم؛ إذ أصبح على المقاتل أن يشتري ما يحتاجه من الحبوب خاصة من السوق المحلي الذي يعتمد بدروه على ما يستورده من الريف؛ وبذلك أصبح يبيع إنتاج أرضه إلى المدينة ويأخذ مقابل ذلك الدراهم التي تمكنه من دفع ما عليه من الخراج⁽⁴⁾.

1- بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، ط3، القاهرة، دار المعارف 1958م، ص74.

2- صالح أحمد العلي: بغداد مدينة السلام، ج 1، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1985 م، ص180.

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص140.

4- صالح أحمد العلي: مرجع سابق، ج1، ص187.

وذلك يعني أن الجنود والحرس كانت تدفع لهم الدولة رزقاً شهرياً؛ وإن كان ذلك على دفعات غير منتظمة وهو ما يكفي لمعيشة لائقة. أما في حالة إذا ما ذهب الجند لمحاربة الأعداء فكانت تنصب الخيم في نظام بديع، وتقام الشوارع والأسواق والبيادر، كما لو كان المعسكر مدينة عامرة، وكانت توزع الأرزاق فتوقد المطابخ وتنصب القدور لكي يأكل منها الخليفة والجنود⁽¹⁾.

هذه هي الطبقة الحاكمة والفئات التي كانت تعيش في كنفها وتدور في فلكها الذين يعملون بالجهاز الإداري في دولة الخلافة، الذي تحول إلى جهاز ممثل للسلطة والقوة معاً بدلاً من تسهيل سبل الحياة للطبقة الدنيا أي جمهور العامة، والفلاحين، والملاحين، والأعراب، والمستخدمين وكذلك الزنج والزط ومن في مستواهم، فكانت معيشتهم أبعد ما تكون عن ذلك الترف بحكم وضعهم في أسفل السلم الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع العباسي. وكان غذاء هذه الفئات في العادة لا يتعدى الوجبة الواحدة من خبز أو حنطة مع الأرز، والسّمك، والتمر، وبعض اللحم، والكراث، والخل، والزيت، قد لا تحصل بعض تلك الفئات كالزنج، والزط على مثل هذا الطعام اللهم إلا سويق الشعير أو الحنطة، أو التمر وقد استُغلت أوضاع هذه الفئات الاقتصادية والاجتماعية السيئة من قبل عدد من الطامحين إلى النفوذ والسلطان⁽²⁾. وكانت حلواؤهم التمر الذي يعد من اللذائذ عندهم، هذا إلى جانب البقول، والخضراوات التي كانت كثيرة ومنتشرة وميسورة لمعظم هذه الفئات⁽³⁾.

ويضاف إليهم الصوفية الذين كانوا فريقين، فريقاً يبالغ في الإقلال من الطعام ويروض نفسه على الجوع، وفريقاً يتسامح بعض التسامح فيوسع على نفسه

1- سيد أمير علي: مرجع سابق، ص377.

2- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج3، ص75.

3- التتوخي: نشوار المحاضرة، ج3، ص191.

بأكله ما يصل إليه من أطعمة السلاطين والأمراء⁽¹⁾. غير أنه في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أقبل الصوفية على عمل قوائم الطعام، واقتترنت كثرة الأكل بازدياد الرقص إلى جانب الغناء؛ حتى إن العوام ظنوا أن مذهب التصوف ليس إلا الرقص⁽²⁾ أما في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) فقد وصل الصوفية إلى مكانه رفيعة حيث إنهم كانوا يقيمون قوائم للطعام للزواج وغيرها من المناسبات العامة، وكانت تحفل بما لذ وطاب من ألوان الطعام والحلوى⁽³⁾.

العوامل المؤثرة في قائمة الطعام

نلاحظ تعرض الدولة العباسية لبعض الأزمات التي أثرت سلباً في قائمة الطعام، وشعر بوطأتها العامة والخاصة على السواء، مثل الحرب التي جرت بين الأخوين الأمين والمأمون في سنة (197 هـ / 112 م) التي كان سببها قيام الأمين بخلع أخيه من ولاية العهد؛ ما أدى إلى قيام المأمون بشن الحرب على أخيه المأمون ما عرض الخلافة للضعف والوهن حتى "خربت الديار وعفت الآثار، وارتفعت الأسعار، وهدمت المنازل، وأحرقت الديار، وانتهبت الأموال"⁽⁴⁾. ومن الطبيعي أن قوائم الطعام قد أصابها تراجع في ترفها بسبب ذلك.

وحيث تكررت أزمات الغلاء في بداية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) عام (206 هـ / 821 م)، غلت الأسعار بسبب حدوث المد في نهر دجلة فذهبت بسبب ذلك الغلات الكثيرة، وامتألت الآبار، وفسد الزرع، ووقع الجراد

1- زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق - بيروت - دار الجيل 1973 م، ج2، ص139.

2- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج1، ص175.

3- ابن الجوزي: المنتظم، ج18، ص50.

4- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص75.

مما نتج عنه غلاء في الأسعار⁽¹⁾. كما تكررت هذه الأزمات في أثناء الفتنة بين المستعين، والمعتز بالله سنة (251هـ / 865 م) مما أدى إلى تفاقم الأزمة بالعراق بسبب الحصار ما أدى إلى غلاء الأسعار، واجتمع على الناس الخوف والجوع، فاشتد الحال، وضاق المجال وجاعت العيال، وجهد الرجال، ولكن سرعان ما انفرجت هذه الأزمة عندما تولى المعتز بالله الخلافة في سنة (252هـ / 866 م) ودان له أهلها، وقد قدمت الميرة من كل جانب، واتسع الناس في الأرزاق والأطعمة⁽²⁾.

وفي سنة (260هـ / 873 م) اشتد الغلاء ببغداد حتى بلغ الكر من الحنطة خمسة عشر ديناراً، وكر الشعير مائة وعشرون ديناراً، وقد استمر هذا الغلاء عدة شهور⁽³⁾ وكذلك تعرضت بغداد أيضاً للغلاء بسبب الحروب الداخلية في سنة (266هـ / 879 م) وخاصة حرب الزنج⁽⁴⁾.

وفي سنة (272هـ / 885 م) تعرضت بغداد لأزمة غلاء، وذلك بسبب أن أهل سامراء منعوا سفن الدقيق من الانحدار إليها، ومنع أرباب الضياع من تخزين الطعام لتغلو الأسعار، فقام أهل بغداد بالرد عليهم، ومنعوا عن سامراء الزيت والصابون والتمر، وحدثت الفتنة في بغداد بسبب غلاء الأسعار⁽⁵⁾. وهو ما كان له تأثيره في مجال الطعام ككل.

1- ابن الجوزي: المنتظم، ج 10، ص 149.

2- ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 9، 10؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 384.

3- ابن الجوزي: المنتظم، ج 12، ص 152.

4- ابن الأثير: علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أبو الحسن (ت 630هـ / 1233م): الكامل في التاريخ، بيروت، دار صار 1966م - (ج 6 - ج 7)

1965م، ج 6، ص 12.

5- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 5، ص 593؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج 7، ص 35.

أما في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) فقد حدثت عدة أزمات أولها أزمة سنة (307 هـ / 919 م) التي وقعت في عهد المقتدر أيضاً، وأدت إلى ارتفاع الأسعار واشتداد الغلاء الناجم عن الادخار والاحتكار، حيث كان بعض أفراد أسرة الخليفة، وكبار المسؤولين وضامنو الضرائب يخزنون الغلال حتى تقل في الأسواق ويعرضونها بأسعار أعلى. وقد أدى ذلك إلى نقمة العامة فنهبت دكاكين الدقيق، وأحرقت الجسور، وأخرجت المحابيس من السجون وهدمت المنابر وعطلوا صلاة الجمعة، إلا أن هذه الفتنة أخدمت بعد أن أنقذ الخليفة الموقف بتحديد الأسعار، واتخاذ سلسلة من التدابير الفعالة الأخرى، فقام بفتح دكاكين المدخرين ومخازنهم، وإرغامهم على بيع الحنطة بأقل من السعر السابق بخمسة دنانير، كما بيع الشعير بحسب ذلك، كما طالب التجار والباعة أن يبيعوا بنفس السعر، وسعر الكر المعدل بخمسين ديناراً، فرضي العامة وسكنت نغمتهم⁽¹⁾.

وقد شهدت فترة إمرة الأمراء (324 - 334 هـ / 935 - 945 م) توتر العلاقات بين العراق وولاية الموصل، وكان هذا هو السبب في حدوث الكثير من أزمات الغلاء خلال هذه الفترة؛ حيث كان أمير الموصل يمنع الميرة عن بغداد وباقي مدن الإقليم، فكانت لا تمر سنة إلا وشهدت أزمة غلاء، وأحياناً تشهد السنة أزميتين، ففي عام (324 هـ / 935 م) عز الخبز والدقيق ووقع الناس في طاعون عظيم⁽²⁾، وكذلك في سنة (326 هـ / 937 م) ارتفعت الأسعار، وافتقر الناس إلى الخبز، وكذلك في سنة (327 هـ / 938 م) ارتفعت الأسعار، وظهر الغلاء ولم ينقذ الموقف سوى المعونات التي أرسلها

1- ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 116.

2- الصولي: أخبار الرضا بالله، ج 2، ص 83؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 185.

أمير الموصل ناصر الدولة حيث أرسل زواريق فيها دقيق شعير⁽¹⁾، واستمر الغلاء لسنة (328هـ / 939 م) وصرخ الناس للاستسقاء فسقوا ماء قليلاً لم تتج غلاتهم من الهلاك ثم اشتد الغلاء والوباء⁽²⁾. واستمر الغلاء أيضاً لسنة (329هـ / 940 م) وهى السنة الأولى لخلافة المتقي بالله حيث حدث غلاء شديد ببغداد، حتى بلغ الكر من الحنطة مائة وثلاثين ديناراً، وأكل الناس الحشيش، وكثر الجوع حتى كان يدفن في القبر الواحد الجماعة بغير غسل ولا صلاة، حتى رخص العقار ببغداد والأثاث فبيع ما ثمنه دينار بدرهم، وذلك بسبب عدم سقوط الأمطار، وابتهل الناس بالدعاء فأمطرت مطراً كثيراً⁽³⁾. ولعل أكبر مثال على تأثر أطعمة الخاصة، هو ما ترويه المصادر في أحداث سنة 330هـ / 941م، فقد تكررت أزمات الغلاء للعام الخامس على التوالي ففي سنة (330 هـ / 941 م) حدثت أزمة غلاء لم ير بمثها من قبل قحطاً عظيماً ببغداد، فقد أكل الضعفاء الميتة، وكثر الموت، وشغل الناس بالمرض والفقر، وتقطعت بهم السبل وخرج الحريم من قصر الخلافة بالرصافة يستغثن الجوع الجوع من شدة الغلاء، وبلغ كر الحنطة مائتي ديناراً، ثم بلغ الكر منها ثلاثمائة وستة عشر ديناراً، وبيع الخبز كل أربعة أرطال بغيراطين صحيحين⁽⁴⁾ إلا أن المتقي بالله قام بدور فعال حيال هذه الكارثة، فأمر بحمل الدقيق وكان المكوك قد بلغ ستة دراهم فجاء الدقيق في شهر ربيع الآخر فانفجرت الأزمة، وصلاح السعر⁽⁵⁾.

1- الصولي: المصدر السابق، ج 2، ص 133.

2- مسكويه: أحمد بن علي، أبو علي (ت 421 هـ / 1031 م): تجارب الأمم - تحقيق وتصحيح هـ. ف. أمدروز - القاهرة - دار الكتاب الإسلامي د. ت، ج 1، ص 410.

3- مسكويه: المصدر السابق، ج 2، ص 8 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 377.

4- ابن الجوزي: المنتظم، ج 14، ص 19 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 391.

5- الصولي: أخبار الرازي بالله، ج 2، ص 225.

كان عصر إمرة الأمراء ("من حوالي 324 - 334 هـ/ 936 - 945م" قد شهد تولي حاملو لقب "أمير الأمراء" السلطة الفعلية للدولة وتهميش دور الخليفة) رغم قصر عمره الزمني قد شهد موجات متلاحقة، معظمها عولج بطريقة سلبية، حيث إن الأمراء بطبيعة الحال كانوا مشغولين فيما بينهم بتدبير الدسائس والمؤمرات، وكل منهم يعمل لحسابه الخاص ولمصالحه الشخصية حسب ما تقضيه الظروف من ناحية، ومن ناحية أخرى توتر العلاقات بين الأمراء وأمير الموصل الذي قام بدوره بمنع الغلات عن الموصل، تلك المنطقة التي كانت تمول حاضرة الخلافة بالميرة؛ وذلك على الرغم من شهرة العراق بزراعة الحنطة والشعير والأرز⁽¹⁾.

ولم يكن العصر البويهى أسعد حظاً من سابقه (334 - 447 هـ/ 945 - 1055م) فقد شهد إقليم العراق أياماً عجافاً، فيها من المصائب والفتن والمحن والمجاعات وأزمات الغلاء ما لا يُحصى، ووقف الأمراء البويهيون حيالها عاجزين تماماً. فقد وقع ببغداد غلاءً شديداً فاق الحد أعقبه مجاعة مروعة لم يسبق لها مثيل؛ وذلك في أول سنة من خلافة المطيع لله (334 هـ/ 945 م) وذلك عند دخول معز الدولة ببغداد⁽²⁾، حتى عدم الناس الخبز البتة، وأكل الناس الحشيش والميتة والجيف، وبيعت العقارات بالرغفين⁽³⁾. وقد اضطرت هذه المجاعة معز الدولة -وهو محاصر من ناصر الدولة بظاهر بغداد من الجانب الغربى- أن يشتري كُرّاً واحداً من الحنطة بعشرين ألف درهم⁽⁴⁾. ووصل

1- عبد المنعم علي عرفان: الأزمات الاقتصادية في إقليم العراق (232 - 447 هـ/ 486 - 1055م) رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة طنطا 1421 هـ/ 2000م، ص 119.

2- ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 453-454.

3- مسكويه: المصدر السابق، ج 2، ص 95، 96؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج 14، ص 46،

47.

4- التتوخي: نشوار المحاضرة، ج 1، ص 351، 352.

الخبز بالجانب المحاصر كل رطل بدرهم وربع، وكان السعر عند ناصر الدولة رخيصاً، لأنه كانت تأتيه الميرة من الموصل فكان الخبز كل خمسة أرطال بدرهم⁽¹⁾، وقد اشترى الخليفة المطيع لنفسه كر دقيق بعشرة آلاف درهم⁽²⁾ إلا أن هذه الأزمة انفرجت بدخول الغلات الجديدة، بالإضافة إلى ارتفاع نسبة الإنتاج⁽³⁾.

وهكذا يتضح تأثر قائمة طعام الخاصة ببغداد في العصر العباسي بتكرار أزمات الغلاء التي عقيبتها المجاعات، فلا يكاد يمر عام إلا وتحدث فيه مجاعة أو أزمة اقتصادية، ولعل السبب في ذلك الحروب الداخلية الكثيرة في العراق، التي أدت بالتالي إلى انعدام الأقوات وحدثت هذه الهزات الاقتصادية العنيفة. وعلى الرغم من أن التأثير الأكبر كان على طعام العامة فإنه كما تبين - تأثرت قوائم طعام طبقة الخاصة في بعض الأوقات.

1- ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 454.

2- ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 113.

3- عبد المنعم علي عرفان: المرجع السابق، ص 113.

الخاتمة:

- شهدت قائمة طعام طبقة الخاصة في المجتمع العباسي ببغداد تطوراً وصل إلى حد الترف المبالغ فيه، بعد أن عرف المسلمون طرائق الأطعمة الفارسية والرومية والتركية، وعكفوا على التفنن في تجهيز ألوان الطعام التي لم يكن للعرب الأوائل عهد بها وقد حققوا في ذلك تقدماً ملحوظاً.
- بعض الخلفاء العباسيين أفرطوا في التوسع في العيش والتمتع بالملذات، وصار كل خليفة يعلو غالباً في سلم الترف عما قبله درجة أو درجات في التفنن في النعيم والإمعان في فنون الحضارة، وكان الأغنياء يتبعونهم في ذلك على قدر مواردهم، ولذلك أخذوا يكثررون في أصناف الطعام، ويعدّدون ألوانه ويتفنّنون في التأنق في قوائم الطعام.
- تأثر الخاصة بالحضارة الفارسية في طريقة إعداد قوائم الطعام، وطريقة وضع الأطعمة والأشربة عليها، وطريقة الجلوس حولها وإقامة الوظائف الخاصة بها، والمطابخ وإحضار الحلوى والفواكه قبل الطعام، والمبالغة في تحسين دورهم ولباسهم وموائدهم، والمنافسة فيما بينهم في ذلك.
- كان هناك عوامل مؤثرة في قائمة الطعام، وهي حدوث أزمات الغلاء والمجاعات في عهد إمرة الأمراء، والعهد البويهّي، وقد تركت آثاراً واضحة في المجتمع العباسي وخاصة من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية. وأدت الأزمات إلى تدهور الزراعة والصناعة والتجارة، ما أثر في الكتلة السكانية؛ فتناقص عدد السكان بسبب الهلاك، أو الهجرة ما ترتب عليه انخفاض أسعار العقارات، وانتشر السلب والنهب في البلاد. وكثرة جثث الموتى من المجاعات، وتركت في الشوارع والطرق، ما أدى إلى فساد الهواء؛ فانتشرت الأوبئة والأمراض، وعم ذلك جميع نواحي العراق. فقامت العديد من الثورات نتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالعراق.

قائمة المصادر والمراجع:

- الآبي: منصور بن الحسين، أبو سعيد (ت 421هـ / 1030م): نثر الدر - ج1- تحقيق محمد قرنة - مراجعة محمد البيجاوي د.ت.
- ابن الأثير: علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أبو الحسن (ت 630هـ / 1233م): الكامل في التاريخ، بيروت، دار صار 1966م.
- ابن أبي أصيبعة: أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، موفق الدين (668هـ / 1269م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء - ط 1 - المطبعة الوهبية 1882م.
- التتوخي: المُحَسَّن بن علي التتوخي، أبو علي (ت 384هـ / 994م) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة - تحقيق عبود الشالجي - ط 2- بيروت - دار صادر 1995م.
- التوحيد: علي بن محمد بن العباس، أبو حيان (ت 414 هـ / 1023م): البصائر والذخائر- تحقيق أحمد أمين - السيد أحمد - ط 1 - القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر 1953م.
- الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة - دار المعارف د. ت - سلسلة ذخائر العرب العدد 57.
- الثعالبي النيسابوري: عبد الملك بن إسماعيل، أبو منصور (ت 429 هـ / 1037 م): آداب الملوك، تقديم عبد الحميد حميدان، عالم الكتب، القاهرة، 2007م.
- الجاحظ: عمرو بن بحر الجاحظ، أبو عثمان (ت 255 هـ / 868م) البخلاء - تحقيق طه الحاجري - ط 5 - القاهرة - دار المعارف 1976م.

- الجاحظ: التاج في أخبار الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة، المطبعة الأميرية 1914م.
- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي محمد بن الجوزي، أبو الفرج (ت 597هـ / 1200م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر، بيروت - دار الكتب العلمية 1992م.
- الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر (ت 463هـ / 1071م): تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة (463هـ / 1070م) القاهرة، مكتبة الخانجي د. ت.
- ابن دحية: كتاب النبراس في تاريخ بني العباسي، تحقيق عباس الغزاوي، بغداد، مطبعة المعارف 1946م.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ / 1505م): تاريخ الخلفاء - تحقيق جمال محمد مصطفى - ط 1 - القاهرة - دار فجر للتراث 1999م.
- الشابشتي: أبو حسن علي بن محمد (ت 388 هـ / 988م): الديارات، تحقيق كوركيس عواد - ط 3 - بيروت - دار الرائد العربي 1986م.
- الصابئ: الهلال بن الحسين الصابئ، أبو الحسن (ت 488هـ / 1095م): الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين 1904م.
- الصابئ: تاريخ الوزراء، محمود غناوي الزهيري: الأدب في ظل بني بويه - الفجالة - مصر - مطبعة الأمانة 1949م.
- الصولي: محمد بن يحيى الصولي، أبو بكر (ت 335هـ / 946م): أخبار الراضي بالله والمتقي لله، أو تاريخ الدولة العباسية من سنة (322 -

- 333هـ / 933 - 934م) من كتاب الأوراق - عني بنشره. ج. هيورث - القاهرة - مطبعة الصاوي د. ت.
- أبو طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارث المكي (ت 386هـ / 996م): قوت القلوب في معاملة المحبوب - ط 1 - الأزهر - المكتبة الحسينية المصرية 1932م.
 - الطبري: محمد بن جرير الطبري (310هـ / 922م): تاريخ الرسل والملوك أو تاريخ الطبري - بيروت - دار الكتب العلمية 1988م.
 - ابن طيفور: أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، أبو الفضل (ت 280هـ / 893م): كتاب بغداد - بيروت - دار الجنان د. ت.
 - ابن عبد ربه: أحمد بن محمد عبد ربه الأندلسي، أبو عمر (ت 349هـ / 940م)، العقد الفريد، تحقيق إبراهيم الإبياري، وغيره، القاهرة، دار الكتاب العربي 1983م.
 - ابن العبري: غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب المالطي (ت 643هـ / 1245م) تاريخ مختصر الدول - بيروت - المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين 1890م.
 - عريب بن سعد القرطبي: صلة تاريخ الطبري، ج12، القاهرة، المطبعة الحسينية د. ت.
 - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير الدمشقي (ت 774هـ / 1346م): البداية والنهاية، دار الفكر العربي 1351هـ / 1932م.
 - أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت 356هـ / 966م): الأغاني - تحقيق إبراهيم الإبياري - القاهرة - دار الشعب ج 1 - ج 6 - 1969م.

- القرماني أحمد بن يوسف القرماني (ت 1019هـ / 1610م): أخبار الدول وآثار الأول - دراسة وتحقيق فهمي أسعد - أحمد صطيظ - ط 1 - بيروت - عالم الكتب 1992م.
- ابن القفطي: أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، جمال الدين (ت 646هـ / 1248 م): إخبار العلماء بأخبار الحكماء أو تاريخ الحكماء - بغداد - مكتبة المثنى د.ت.
- القيرواني: إبراهيم بن علي بن الحصري القيرواني، أبو إسحاق (ت 453هـ / 1061م): زهر الآداب وثمر الألباب - تحقيق زكي مبارك - حققه وزاد في تصحيحه وضبطه وشرحه محمد محيي الدين عبد الحميد - ط 4 - بيروت - دار الجيل 1972م.
- المسعودي: علي بن الحسين بن علي المسعودي، أبو الحسن (ت 346هـ / 957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر - ط 2 - بيروت - دار الكتاب العالمي - الدار الإفريقية 1990م.
- ابن مسكويه: أحمد بن علي، أبو علي (ت 421هـ / 1031 م): تجارب الأمم - تحقيق وتصحيح هـ. ف. أمروز - القاهرة - دار الكتاب الإسلامي د. ت.
- ابن المعتز: عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (ت 296هـ / 908م): ديوان ابن المعتز - شرح وتقديم مشيل نعمان - بيروت - الشركة اللبنانية 1969م.
- المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي (387هـ / 997م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - ط 2 - بيروت - دار صادر 1909م.

- ابن النديم الوراق: محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن محمد، (ت 438هـ/1046م). كتاب الفهرست - تحقيق رضا تجدد بن علي بن زين العابدين - ط 3 - دار المسيرة 1988م.
- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 732هـ/1331م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ط 1، القاهرة - دار الكتب المصرية (ج 3 ط 1924م).
- ياقوت الحموي: شهاب الدين الحموي الرومي، أبو عبدالله (ت 626هـ/1228م)، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب والمعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء - تصحيح د. س مرجليوث - ط 2 - مطبعة هندية بالموسكي (القاهرة) - (ج 1، ج 2 - 1923).

ثانيًا: المراجع

- أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط 10، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية د. ت.
- أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط 2 - القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر 1946م.
- أحمد تيمور: تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة، مج 3، ج 11، دمشق، المجمع العلمي العربي 1921م.
- أحمد شلبي: في قصور الخلفاء العباسيين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية 1954م.
- أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج 1، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1927م.
- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، ط 4 - بيروت - دار الكتاب العربي 1967 م.

- بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، ط3، القاهرة، دار المعارف 1958م.
- جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي - بيروت - دار مكتبة الحياة د. ت.
- جميل نخلة المدور: حضارة الإسلام في دار السلام، بولاق، القاهرة، المطبعة الأميرية 1937م.
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - ط 14 - دار الجيل - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية 1996م.
- حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول - ط 1 - دار الفكر العربي 1973م.
- حسين مؤنس: صور من البطولات العربية والأجنبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2000م.
- زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق - بيروت - دار الجيل 1973م.
- سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي - نقله إلى العربية رياض رافت باسم - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1938م.
- السيد عبد العزيز سالم: دراسات في العصر العباسي الأول، ج3، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة 1987م.
- شوقي ضيف: الأدب في العصر العباسي الثاني ط 5 - القاهرة - دار المعارف د. ت.
- صالح أحمد العلي: بغداد مدينة السلام، ج 1، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1985م.

- صلاح الدين المنجد: بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي - ط 3 - بيروت - لبنان - دار الكتب الجديد 1980م.
- صلاح عبد الهادي مصطفى الحيدري: المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير - بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1970/1971م.
- طيبة صالح الشذر: ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، القاهرة، دار قباء 1998م.
- عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، مطبعة السريان 1945م.
- عبد المنعم علي عرفان: الأزمات الاقتصادية في إقليم العراق (232 - 447هـ/ 486 - 1055م) رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة طنطا 1421هـ/ 2000م.
- عصام عبد الرؤف الفقي: الدولة العباسية، مكتبة نهضة الشرق 1987م.
- مليحة محمد رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، رسالة دكتوراه بكلية الآداب، جامعة القاهرة 1968م.